البناء
السنة السابعة / الاثنين / 11 أيار 2015 / العدد 1777
Seventh year / Monday / 11 May 2015 / Issue No. 1777

في ذكرى النكبة... إما فلسطين وإما النار جيلاً بعد جيل!

بقلم: نصار إبراهيم

عصفور الشمس الفلسطيني... وحنظلة!

عصفور الشمس الفلسطيني
سرُّ جماله وبهائه ليس في نعومته واستكانته وخضوعه
لا بل في تمرّده وجرأته ومقاومته الأزلية
هو مزيج من الضوء والصرامة والوضوح
يعشق الأزهار نعم
يعانقها ويراقصها نعم
لكن عيناه لا تفارقان الشمس أبداً
فكما يرحل حنظلة الفلسطيني ما بين الأسود والأبيض
كي لا يلتبس الموقف
فإن عصفور الشمس الفلسطيني يرحل أيضاً ما بين الزهرة والشمس
ذلك لأنه عصفور الشمس
عاشق الحرية والأعالي الجميلة
وتلك طبيعته
وغير ذلك لن يكون جديراً لا بفلسطين ولا بشمسها!

فلسطين!

فلسطين التي تغفو على رمش العين
هي البحر الذي لا يفارقه قلب البحّار
تعصف الأنواء وتعتكر العينان
لكن القلب لا يفارق مراقصة الأمواج
فيواصل الرقص والمقاومة
تنهض فلسطين، تمتشق قامتها
ترسل عينيها نحو الشمس: هي ذكرى النكبة ما زالت تأتي
وما زلت أنا الفلسطينيّ أقاوم.
تَعُدُّ فلسطين أبناءها مساءً وصباحاً وتودعهم بقلبها وعينيها: هيا يا أبنائي اذهبوا إلى أقداركم
كونوا أبناء أمّكم
مع السلامة!
وأقدار أبناء فلسطين مكتوبة في اللوح المحفوظ
يولدون ليصعدوا
حتى يكون يوم تَحَرِّر فيه ضفائرها الأزلية كالزيتون
وتُعمِّد شعرها البهيّ في مياه المتوسط
تسرِّحه بعطر اللوز والليمون
يومئذٍ ستطلق أغانيها الحرّة نحو الذين صعدوا وهم ينشدونَ باسمها
سيأتي ذلك اليوم
قد يتأخر
لكنه سيأتي ما دام على هذه الأرض رجل وامرأة كنعانيان يمارسان العشق للأرض والأطفال والبرتقال والأيام التي لم تأت بعد!

9 نيسان 1948 ذكرى مجزرة دير ياسين

كم يبدو الصباح هادئاً هنا في دير ياسين
وكم يبدو المكان هادئاً
صمت عميق يغمر المكان
صمت حزين يصل إلى أعماق الروح
صمت الموت والفقد والغدر والذكريات
صمت أطفال ونساء ورجال
استيقظوا فجراً وفي عيونهم ألف سؤال
ولم يمتلكوا الوقت لانتظار الأجوبة
مضوا وفي عيونهم عتب وغضب وخوف
سقطوا فجراً ومع الضحى وظهراً
لم يترك الطفل ثوب أمه وصدرها فمضى معها وفي عينيه عتب على السماء والأرض
سرب عصافير يحط قريباً من أشجار الصبّار المنسيّة
أعشاب وحشائش وأشواك
بقايا أشجار اللوز والرمّان والتين
تواصل نموّها وحيدة
معالم جدران تطلّ من وحشة المكان وصمته الحزين
بقايا دروب ضاعت معالمها
صرير الجنادب وهمسات الرياح تدور في الفضاء
صدى أصوات قادمة من على مسافة 66 سنة
أطفال، ودخان مواقد يتصاعد ويمضي بعيداً في السماء
وعيون تحاور كأس شاي مع ميرمية
نداء على جار يعبر الدرب مساءً
تمر امرأة تلقي تحية المساء وتمضي صعوداً مغمورة برائحة الخبز الطازج
صهيل فرس
وفراشات تعانق ما تيسّر من أزهار تنمو بلا نظام
دير ياسين... بقايا بيوت وشبابيك وأبواب ودروب صامتة
ترنو بحنين إلى الأفق البعيد
يااااه! كم يبدو المكان هادئاً هنا في دير ياسين!

همس الزيتون!

سألت شجرة الزيتون المعمّرة صديقتها: أتذكرين يوم مولدك؟
لا... لا أذكر سوى أنّني هنا
ثمّ أشارت بغصنها المضيء إلى السفوح المقمرة.
وهمست: وأذكر طيف طفل كنعانيّ كان يركض هناك كالسراب
واصلت أشجار الزيتون همسها تحت ضوء القمر
فيما وقفتُ ملتصقاً بدفئها وأنا أحاول أن أتذكر ملامح ذلك الطفل الكنعانيّ الأسمر الذي كان يركض يوماً على السفوح المقمرة
أين ذلك الطفل يا ترى؟
أم لا يزال طفلاً يركض باحثاً عن ملامح وطن مزروع بالزيتون؟

في شهر اللوز... اليرموك ويافا!

نهض البحّار
أيقظه البحر على هدهدة الأمواج
ورائحة القهوة
جذلاً كان
فالريح مواتية
أرسل نورسه ليجوب الأفق الأزرق
هل اليابسة في الأفق؟
ستكون... قال النورس
غنّى البحّارة فرحا
قال البحار: أرسل مجذافك في أعماق الموج
يأتي بالماء إلينا
لنمضي في هذا الأزرق
نحو المرجان، والأمل المزروع على الشاطئ ينتظر
نظر البحارة نحو الأفق الداخن
قالوا: ها قد عاد الهدهد
إذن، لتزهر في القلب الصادق سوسنة مع خيط الضوء الأول... همس البحار فيفيض البحر بالفرح الضاحك فتبتهج لبهجته.
ابتسم البحار... وعانق أبعاد المستقبل.
قال البحار: يا ريح البحر ها نحن نبحر في المدى
مُرّ على وجه وطني وشعر حبيبتي وعيون أطفالي
ولكن... حذار ليكن ذاك برفق... وإلا
وبشرف إله البحر «بوسيدون» سنمنعك من المرور!
سار البحار على سطح سفينته
ترك الدفة والأشرعة لصهيل الريح
قال البحار: سنجوب البحر ومحيطات الأرض والأنهار
نبحث عن وطن في فكرة
ونبحث عن أمل في وطن
لسنا قراصنة أوطان أو حُب أو قمح
بل نبحث عن فيض الخير في ذاكرة عامرة وأحلام قادمة
لا ننسى وطناً مغتصباً ضاع ما بين اللؤم والبؤس والعجز وألعاب الدول الكبرى وتفاهات الأنظمة الصغرى.
ألقى البحّارة المرساة قرب الشاطئ فلامست الأرض برفق
همس البحار: هذي يافا.
مواقد يافا دافئة
عامرة بالنار
ضجيج الأطفال وغناء البحر
رائحة البنّ
في يافا أبواب لا تُغلق أبداً دفّتها... هذا ما قاله الشيخ اليافاوي الطاعن في العَمر
قرب الشاطئ جلس
غامت عيناه فسقط الدمع في ماء البحر المالح
ليغسل أسماك الوطن المنفية في أعماق اليمّ وأعماق الليل وأعماق القلب.
ها يافا في مرمى العين
تنام على الشاطئ مذ خلقت
تنتظر من يحمل غصن اللوز أخضر
من أين يعود الأهل كرفوف الحمام وأسراب السمك؟
من البر... من البحر... أم من بين الغيوم
من أين؟ يافا ما زالت تحلم بصبيةٍ تخرج من عمق الموج بسلال البرتقال
بأمّ ترضع طفلاً
وتشعل ناراً لتحضّر كأس شاي بالميرمية
لجار يلقي تحية المساء
تحضّن يده كوب الشاي وتلاحق عيناه النجم الأول الذي يشرق فوق البحر
قال الشيخ: يافا ـ كانت ـ عامرة بالحبّ والبحر والناس
أما الآن فيافا تنهشها الغربة
واليافاويون انتشروا في الدنيا
يخربش الأطفال البرتقال على جدران المدرسة وأرصفة الشارع
ومفتاح العودة في صدر البيت
في صدر الخيمة والمكتب والروح
تمضي السنون
واليافاوي يزرع أشتال الليمون في وعي الطفل
يزرعها مع صرخته الأولى
فترافقه كآية قرآن أو أيقونة مريم
«وقل أعوذ بربّ الفلق... من شرّ ما خلق... ومن شر حاسد إذا حسد...»!
هذي ليست أحلاماً
فالقمر قد اكتمل
والنفي قد اكتمل
والقتل قد اكتمل
والوعي قد اكتمل
ويافا ما زالت تتهيّأ
تستمع لأمواج البحر وصهيل الخيل الآتي من عمق الصحراء
ها مشروع النفي قد وصل نهايته
والكذبة لم تثبت صحّتها
لم ينس الأطفال
وفي الزنزانة يزرع معتقل أمنية
يسقيها بالحزن والأمل
وبالشهداء تغصّ الذاكرة وأرصفة الشارع
براكين الأرض تمور... تفور... تنزاح صفائحها
ليوم ترسل فيه الغضب الكامن
فيبتلع البحر الكذبة
وتبتلع الأرض اللحظة العابرة
والفكرة العابرة
والثقافة العابرة
والوجوه العابرة..!
في يوم قادم كالفجر ستشرق يافا
ستعلو البسمة عينيها
هذا وعد الله ووعد رجل وامرأة حفرا نفقاً في الليل ليعودا فجراً
يغنّيان ويقاومان
يحفران ويقاومان
قالا: سننجب أطفالاً
سيحمل كلٌ منهم شتلة برتقال وبندقية
كتاباً وزهرة ياسمين
سنعلّمهم قصائد الحبّ والوضوح والشرف
سيعودون إلى يافا مع شهر اللوز
فيافا تعرف ما في باطن هذي الأرض
ولهذا يافا تبتسم
لشهر اللوز
وصوت الموج
وغناء البحّارة
واليرموك سيبقى جسراً للعودة..!

رحيل عاشقة الفرح العراقي التشكيليّة وسماء الآغا

نعت الأوساط الفنية والثقافية ووزارة الثقافة العراقية، الفنانة التشكيلية العراقية المغتربة الدكتورة وسماء حسن الآغا، عقيلة الفنان التشكيلي العراقي المغترب البروفسور ماهود أحمد، عصر السبت الماضي، في أحد مستشفيات العاصمة الأردنية عمّان، إذ أدخلت الآغا إلى المستشفى قبل أسبوع، بعد عارض مرضيّ لم يمهلها.

مرّت وسماء الآغا خلال مسيرتها الفنية، التي بدأت أواسط سبعينات القرن العشرين، بمراحل عدّة، إذ اطّلعت على كافة المدارس الفنية، وتبنّت أساليب جديدة ومختلفة، إنما بروح شرقية.

ولدت الآغا في بغداد لعائلة تحبّ الفنون التشكيلية، وبرزت موهبتها في الرسم في سنّ مبكرة، من خلال مشاركاتها في المعارض المدرسية، وحصلت على تقدير أساتذتها خلال المراحل الدراسية كافة. عام 1975 حصلت على شهادة الرسم والألوان من لندن.

قال عنها النقاد إنها «عاشقة اللون»، ووصفها بعضهم بأنها «فنانة من عصر هارون الرشيد»، وكتب عن تجربتها كبار نقاد الفن التشكيلي العراقي والعربي.

والآغا، أستاذة بدرجة بروفسور. نالت عدداً من الجوائز، منها جائزة التخطيط والألوان ـ لندن 1975، كما حازت شهادة «BA» في الفنون التشكيلية عام 1981 بدرجة جيد جداً، وشهادة الماجستير في فلسفة فنّ التصوير الإسلامي ـ جامعة بغداد عام 1987 بدرجة امتياز، وشهادة الدكتوراه في فلسفة تاريخ الفنّ ـ جامعة بغداد عام 1996 بدرجة امتياز.

معرضها الأول كان عام 1976 في المتحف الوطني للفن الحديث ـ بغداد. واشتركت عام 1976 بلوحة عنوانها «مأساة تل الزعتر» على قاعة المتحف الوطني للفن الحديث. وشاركت في عدد من المؤتمرات العلمية في مجال الفن والدراسات التراثية داخل العراق وخارجه، كما ألّفت عدداً من الكتب الفنية التي تدرَّس حالياً في المعاهد والكليات الفنية.

مكتبة «البناء»

«بورسلان»... النرجسيّ الذي يكره نفسه

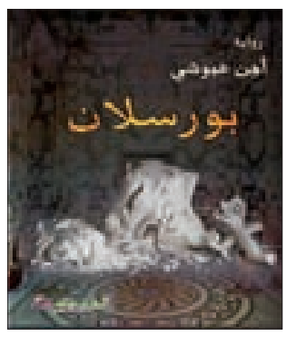

عادةً ما يترك المؤلف للقارئ، مساحة من الأمل يتعلق بها وسط صراع محموم بين الخير والشرّ. لكن أيمن عبوشي، كاتب رواية «بورسلان»، الصادرة عن «دار الجندي للنشر والطباعة» ـ القدس، لم يترك لقرائه زفيراً، يخفّف عبء 198 صفحة من القراءة المعتمة في تصوير الكراهية والجهل والدهاء والتزلّف في آن.

بدا أن الكاتب قد سرد روايته في أجواء سوداوية حرمت القارئ فرصة التشبث بشخصية طيبة، أو حتى محايدة، أو الانحياز لزاوية آمنة تسعفه في ملاحقته فصول مؤامرات تقطع الأنفاس، تبدأ من السطر الأول، ولا تفلتها إلا في السطر الأخير.

تستنسخ الرواية من البطل، رجلاً آخر يحمل اسمه وملامحه ونفسه الشريرة، وثمّة خصومة بين الاثنين ـ باعتبار أن السفينة لا يقودها إلا قبطان واحد. ثمّ تتبع خيوط حبكتها صراعاً دامياً بين رجل ورديفه.

وحين يُسأل أيمن عبوشي عن السبب الذي دفعه إلى ملاحقة شخصية شريرة حتّى النفَس الأخير، من دون أن يتصدّى لها أو لنسختها، يقول إنه صنع شخصية قذرة، وترك لها حرية الحركة، وتتبعتها، مشى وراءها، رافقها، وزارها عدة مرات، ترك لها العنان في احتقار كل شيء باستثنائها، كديدن هذا النوع من البشر... ثم فصلها عن نفسها، بكل قذارتها، اجتثّ «أناها» منها، ونصبها أمامها، وضعهما أمام بعضهما، وجلس يراقب كيف يمكن أن تتعامل شخصية كريهة، مع «أنا» كريهة مثلها..!

ويظهر أن عبوشي حاول أن يفتعل تجربة أدبية، تخضع الشخصية النشاز لاختبار السرد، من دون مؤثرات أو تدخلات تحول دون تطورها وتناغمها مع بيئة خصبة تكبر وتتعاظم فيها، بحيث يتعامل مع «الشرير» بوصفه «فأر تجارب». تاركاً له المدى ليدرس طرائق تفكيره وألاعيبه.

بهذا التحفيز، ولّد أيمن عبوشي شرّاً مضاعفاً، يتلاقح ويتكاثر ولا ينتهي. ويقول عبوشي إنّ تبيان الصورة القاتمة بتجلياتها ومحرّكاتها الإنسانية، يصوغ تعريفاً سردياً لماهية الشر. والمسألة في وجهة نظره ليست مقارعة رومنسية بين نقيضين، ويتابع: «قديماً، كان الإغريق يصنعون آلهة ليختلقوا قصصاً خرافية للصراع، وليُلحقوا هزيمة مدوّية بالشرّ، مستعينين بجبروت الأسطورة. ووليام شكسبير قتل ـ برومنسية مفرطة ـ أبطاله في حرب الخير والشر..».

ويضيف أن استحواذ الشرّ على المشهد في «بورسلان»، كان ضرورياً لتأكيد حقيقة أن الشرّ يأكل بعضه، ويجتزّه بالصورة نفسها.

وفي هذا البناء، تحاول الرواية، نحت واقع هجين من شخصية مزدوجة، فالبطل ـ الذي يعرّف به الكاتب بـ«الدكتور» تارة أو «الوزير» تارة أخرى، يبدأ حياته بانعطافة لا تخلو من الخيال. وعلى رغم غرور الرجل، فإنه يدخل في دوامة من النفور من نفسه، حين يشتمّ رائحة كريهة تنبع منه، وسرعان ما تسفر عن انبلاج نسخة منه، أقوى شكيمة وبأساً من الأصل، ليدخل في عداء معها، ويصبح باسترسال روائيّ: «النرجسي الذي يكره نفسه».

من هنا، يبدأ التحول، وتنطلق فصول الرواية نحو إبراز الجانب الشرير بعد حشره في زاوية الضحية، من دون استفزاز تعاطف القرّاء مع البطل، الذي يدخل في دوامة من الصراعات مع بيئة سياسية لما كان يعرف بـ«الربيع العربي»، وانهيار أنظمة فاسدة، وقيام أخرى لا تختلف عنها كثيراً، يعبّر عنها أيمن عبوشي في أحد فصول روايته، وعلى لسان شخصية «الشيخ عزمي»؛ المعيار الوحيد للخير في «بورسلان» حين يقول إن الديمقراطية هي الحتمية التاريخية، ووسيلة الحكم الجديدة... حيث لا تجبرنا الأنظمة على فعل ما تريده، بل تترك لنا الحرّية لنفعل ما تريده أيضاً.

ويخلص عبوشي إلى حقيقة أنّ تطوّر الشرّ ليس حكراً على شخصية بعينها، بل يتعلق بنمط حياة كامل غيّر شروط اللعبة. وبدأ يستقي أدواته من وسائل رقمية، وفضاء مفتوح يطوّع الكثيرين لرغباته، التي تأخذ مداها في صراعات الأقبية السياسية، وصفقات الأحزاب والمحاصصة البرلمانية، وإن غابت صور القمع، والتعذيب، واليد الطولى للأجهزة الأمنية.

باختصار، يحاول أيمن عبوشي من خلال روايته الثالثة «بورسلان»، أن يؤكد أن للشرّ أوجه عدّة، قادرة على التكيّف حتى مع الثورات التي يعتبرها التاريخ أكثر التحوّلات الإنسانية إجلالاً، لا بل أنّ قوى الشر قادرة على تمثّل أوجه عدّة في طيّاتها، والتسلل من خلال الشعوب، والانقضاض على مصائرهم، من خلال استحضار سدنة الأنظمة البائدة، وتمكينها في دورة حياة «بورسلان».

الشهادة ونوافذ مشرّعة على الأمل... لوحات للتشكيليّ محمد حمّود

غرام محمد

يتضمّن معرض الفنان التشكيلي محمد حمود الذي جاء تحية لأرواح شهداء سورية، بمناسبة عيد الشهداء، 57 لوحة فنية استخدم فيها الألوان الزيتية والإكريليك والرصاص والمائي، إضافة إلى 16 عملاً فنياً نحتياً من خشب الزيتون.

جسّدت غالبية اللوحات معاناة المواطن السوري خلال سنوات الأزمة، والتضحيات التي يقدمها أبناء الوطن في سبيل عزّته وكرامته، بأساليب مختلفة يتناسب كل منها مع فكرة اللوحة أو العمل الذي قام الفنان بتقديمه. إضافة إلى تجسيد المرأة التي ترمز إلى الأرض والأمّ وكل معاني العطاء في الحياة.

ويسعى حمود من خلال معرضه الذي افتتح السبت الماضي في قاعة المعارض ـ المركز الثقافي العربي في مدينة بانياس، إلى عرض وجهة نظره الفنية حول ما يجري في سورية من أحداث وأعمال إرهابية وتخريبية، والصمود الكبير الذي يبديه الشعب السوري وجيشه العظيم في مواجهة كل التحدّيات والصعوبات.

ويطغى اللون الأحمر على لوحات كثيرة، في رمزية إلى استشهاد زهور سورية وشبابها في سبيل بقاء الوطن، إذ يؤكد الفنان أن غايته من إقامة المعرض في هذه الفترة، حمل رسالة صمود الشعب السوري إلى مختلف أنحاء العالم، والتأكيد على أننا شعب جدير بالحياة، عصيّ على الانكسار والانهزام.

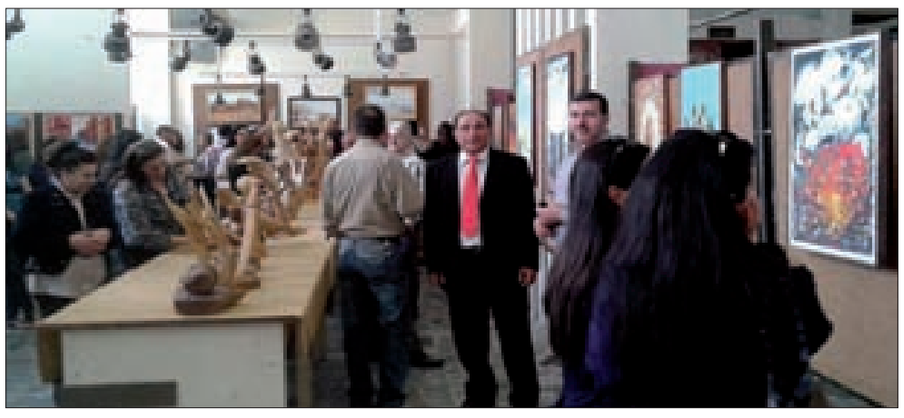

وفي لوحته التي حملت عنوان «وفاء للشهيد»، يمجّد حمود الشهادة والشهداء والنور المستمد من شهادتهم وقدسيتهم، مجسّداً فيها وفاء أسرة الشهيد لابنهم البارّ من خلال اليد التي تخرج من قلب الزوج أو الأمّ أو الأخت لتقدّم الأزهار عربون وفاء لروح الشهيد، ودليل فرحهم باكتساب لقب «ذوي الشهيد».

ويحاول حمود أن يبرز في لوحاته صمود الشعب السوري واستمراره في دعمه، والأمل الذي نعيش عليه بأن الأزمة إلى زوال، وأن الأحوال ستعود أفضل مما كانت، من خلال الياسمين وسنابل القمح ونور الشمس الساطعة، وتصويره أبواب ونوافذ مشرّعة على الأمل، على رغم كلّ الدمار الذي يحيط بها. موضحاً من خلال لوحاته أيضاً أن الحياة في سورية مستمرة، فلا يمكن أن تتوقف أبداً.

وتحظى ديمقراطية الغرب باستنكار كبير لدى الفنان، إذ علّق على جدار المعرض لوحته التي حملت عنوان «الديمقراطية» بالمقلوب، لأنه يرى أن الديمقراطية التي يدّعونها حطمت وخرّبت ودمّرت الدول، وحوّلت سكانها إلى أشلاء متناثرة.

ولم تغب القضية الفلسطينية عن ألوان الفنان ولوحاته، هذه القضية التي تناساها كثيرون من العربان، في الوقت الذي جاءت فيه راشيل الأميركية لتدافع عن شعب مظلوم وتتضامن معه، فكان مصيرها الدهس من قبل قوات الاحتلال «الإسرائيلي»، مبيّناً أن لوحته «راشيل»، تكريم لهذه المواطنة الشريفة التي دفعها الحسّ الإنساني للقدوم إلى بلد غير بلدها، والموت على أرضه، دفاعاً عن قيمها ومبادئها في الحياة.

ويجسّد الفنان من خلال عدد من الأعمال الخشبية المصنوعة من خشب الزيتون صور الجماجم التي ملأت الأرض السورية بشكل عمودي، حتى تبقى في ذاكرة السوريين دليلاً على الإرهاب الهمجي الذي تتعرض له. إضافة إلى عمل يجسد عملية قطع الرأس بالساطور، مؤكداً أنه يحاول من خلال هذه الأعمال نبذ ثقافة الإرهاب، التي ينبذها أيضاً الشعب السوري بكل فئاته.

تجدر الإشارة إلى أنّ الفنان محمد حمود درس الرسم في عدّة مراكز فنية في دمشق. منها مركز «أدهم اسماعيل»، كما اتبع عدداً من الدورات في مركز «مجيب داود للفنون التشكيلية»، وشارك في 42 معرضاً جماعياً في بعض المحافظات السورية، وهذا المعرض هو الفرديّ السادس له.